فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من دروس الدورة العلمية "بصائر"

الطريق إلى الربانية (١)

لفضيلة الشيخ: د.خالد الحداد

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-113347.htm

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، ثم أما بعد:

إخواني وأحبابي في الله: كل سنة وأنتم طيبين، رمضان خلص عاملين إيه بعد رمضان؟ أخباركم إيه بعد رمضان؟ أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يثبتنا وإياكم على صراطه المستقيم.

الربانية.. أجمل علاقة بين العبد وربه

الطريق إلى الربانية .. كتير أوي بنسمع عن كلمة الربانية والطريق إلى الربانية وكونوا ربانيين، ولكن المصطلح ده يشوبه جزء من الضبابية أكثر منه من الوضوح، بعض الناس بتفسرها على إنها العبودية، وبعض الناس بتفسرها على إنها الإخلاص، وبعض الناس بتفسرها على إنها الارتباط بالقرآن، تفسيرات عديدة جدًا للربانية. الربانية كلمة رباني بيعرفها أهل اللغة أنه العبد المتصل بالله، يعني كلمة رب وأُزيدت عليها الألف والنون، سيبويه بن أحمد كان بيقول: أُزيد عليها الألف والنون لارتباطها بعلم الرب سبحانه وتعالى، فملخص التعريفات الكتيرة عن الربانية أنها علاقة بين العبد والرب، أجمل علاقة بين العبد والرب علاقة جميلة جدًا، علاقة حب بين ربنا وبين العبد.

احذر أن يرزقك الله مؤهلات القيادة فتصرفك عن الله

الربانية وردت في كتاب الله في قوله تعالى: "مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ" آل عمران:٧٩

الله عز وجل يقول: "مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ" المؤهلات التلاتة دول لو اجتمعوا في شخص حتمًا –إن لم يكن عبدًا ربانيًا متصل بالله– فهذه مؤهلات القيادة فسيأخذها لنفسه بعد أن كانت لله –عز وجل–، يعني إيه؟ الله عز وجل قد يعطي عبدًا الكتاب والحكم والنبوة هؤلاء ليوصلوا لله، قد يعطي عبدًا نوع عبادة مع الله ولكن قد تكون هذه العلاقة هي الصارفة عن الله. يقول ابن القيم:

"قد تسرق النفس العمل الصالح لنفسها بعد أن كان لله عز وجل، فتجد الرجل أعلم ما يكون، أزهد ما يكون، أعبد ما يكون، وهو عن الله أبعد ما يكون" هكذا، لذا حذر الله "مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ" الله عز وجل هو الذي يؤتي،

"مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ولكن –يقول للناس– كُونُوا رَبَّانِيِّينَ"

الربانيون هم أهل الله وخاصته، يحبهم ويحبونه

الربانية تأتي بالارتباط بالقرآن، هناك عباد لله سبحانه وتعالى يحبونه، يتوددون إليه، يتقربون إليه،يتزلفون له، يعيشون به وإليه، وهناك عباد خواص من عباد الله هم أهل الله وخاصته اختصهم الله واختارهم على عينه، يحبهم، يتودد إليهم، يتقرب إليهم، يدافع عنهم ويحابي عليهم. هؤلاء هم أهل الله وخاصته عارف يعني إيه أهل الله؟ دول أهل ولاية الله عز وجل، الله عز وجل اختارهم واصطنعهم لنفسه، ولم يخترهم الله عبثًا ولا سُدى، ولكن قال فيهم: "وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" الدخان:٣٢، الله عز وجل يعطيهم كل ما يشتهون لكرامتهم عليه سبحانه وتعالى.

عطاء الله لا يتعاظمه شيء

سيدنا زكريا لما سأل الله الولد قال الله عز وجل: "ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا*قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي–مش العضلات ولا الجلد ولا العصب، ده أقوى حاجة بتكون في الإنسان هي العظم– وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا*وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا" مريم٢:٥، الله–عز وجل– أعطاه الولد لدرجة أنه لم يُصدق نفسه، "قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ" مريم:٨، الله–عز وجل– رحمن رحيم عظيم لا يتعاظمه شيء.

الله يعطي الربانيين ما يشتهون

سيدنا موسى لما سأل ربنا سأله عدة أسئلة أول ما ربنا أرسله لفرعون قال إيه؟ "قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا" مريم ٢٥:٣٥، ١١ حاجة ربنا قال له: "قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى" مريم:٣٦، سُؤلك ده بيقول لك تصغير سؤال، يعني ال ١١ حاجة دول عند ربنا سُؤلك. الله–عز وجل– لكرامة هؤلاء الربانيين عليه يعطيهم كل ما يشتهون، بل حتى ولو لم يطلبوا، بس ربنا يَطَّلِع على قلب حد منهم يريد شئ يعملهوله.

الله يحارب من أجل عباده الربانيين

سيدنا النبي–صلى الله عليه وسلم– لما سافر من مكة إلى المدينة كان يحب أن يغير الله له وجهة الصلاة إلى الكعبة ولكنه لم يطلب شيء، لم يسأل الله شيئًا ليس له تأدبًا مع الله، كان بيعمل إيه؟ كان يطلع بس كده ينظر إلى السماء فربنا قال له: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ" البقرة:١٤٤، عشان كده النبي–عليه الصلاة

والسلام– لما نزل قوله: "تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ" الأحزاب:٥١ قالت السيدة عائشة: "والله يا رسول الله ما أرى إلا أن ربك يسارع في هواك"، عارف يعني إيه يسارع في هواك؟ ده اسمه الربانية، عارف يعني إيه الربانية؟ يعني ربنا يحارب الدنيا كلها عشان خاطر العبد الرباني ده، أولئك هم الربانيون، الربانيون هم الذين تتعلق قلوبهم بالله–عز وجل– في كل أمورهم دقت أو كبرت.

لنتعلم الربانية من سيدنا إبراهيم–عليه السلام–

سيدنا إبراهيم قمة الربانية، عبد متصل بالله يخرج من فلسطين يروح العراق وفي كل ده يقول: "إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ" الصافات:٩٩ ذكر بعض المفسرين أن سيدنا إبراهيم لما أراد قومه أن يصنعوا له نارًا عظيمة اشترط عليهم كبيرهم وكان يُدعى الهيزق، قال والله لا تبنوها في الصحراء ولكن ابنوا لها بنيانًا يحوطها كي لا تخبو سبعة أيام، فلما أوقدوا النار وكادوا أن يلقوا بإبراهيم في النار صاحت الملائكة وأذن ملك المطر ميكائيل إلى الله–عز وجل– كي يأمره ليأمر المطر فيسقطه على النار فتخبو النار، ولكن لكرامة إبراهيم على الله –عز وجل– لم يجعل بينه وبين النار واسطة ولكن قال ربنا للنار :"يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إبراهيم" الأنبياء:٦٩، وظل سيدنا إبراهيم سبعة أيام وليالي يصلي في النار، وبعد سبعة أيام خرج سيدنا إبراهيم من النار يمشي أمام الناس، فلما رآه أبوه قال له: نِعْم الرب ربك يا إبراهيم. فهمت يعني إيه عبد رباني؟ هو ده العبد الرباني.

الله ولي الذين آمنوا

الحجاج بن يوسف الثقفي كان إذا حج أُغلق حجر إبراهيم فلم يدخله إلا هو، فلما أراد أن يحج ودخل الحجر دخل وراءه أحد الأعراب، فأسرع الحراس ولكن الأعرابي كان قد دخل في صلاته، فأشار لهم الحجاج أن أمهلوه، فلما انتهى من صلاته أتوا به إلى الحجاج فقال له الحجاج: "من أين أنت يا رجل؟" قال له: "من اليمن"، قال: "بلد أخي" وكان أخوه محمد بن يوسف الثقفي وكان واليًا على اليمن، قال له: "والله ليست بلد أخيك وإنما هو عندنا عامل أجير"، فأسَرَّها الحجاج وقال له: "كيف تركت أخي؟" قال له: "تركته صحيحًا أبيضًا سمينًا"، قال: "لا أسألك عن صحته ولكن أسألك عن واليته وعن رعيته لرعيته"، قال: "والله تركته جبارًا بينه وبين النار رتوة" يعني هيخش النار، فقال له: "أما تخشى مني؟ أما تعلم أن مكانه من مكاني؟" قال: "والله أعلم مكانك من مكانه ولكني أعلم أن الله من فوق سبع سموات أمنع لي منك من مناعتك لأخيك"، فقال الحجاج: "والله صدقت فخلوا سبيله"، هو ده العبد الرباني.

بدون الدخول في تفاصيل العبد الرباني أن الله سبحانه وتعالى بيتولاه ويُصَرِّف أموره كما قال الله: "إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ" الأعراف:١٩٦.

ودائع الله لا تضيع

لما جلس عمر بن الخطاب مجلس الخلافة ومر عليه أحد رعيته يحمل غلامًا له، فقال له سيدنا عمر: "ما أشبه هذا الغراب بهذا الغراب" أي ما أشبه هذا الطفل بأبيه، فقال له: "يا أمير المؤمنين إن لهذا الطفل لأمرًا عجيب

وقصة وشأنًا"، فقال: "قصها علي"، فقال: "يا أمير المؤمنين والله إني قد اكتسبت في بعثي كذا وكذا وخرجت مجاهدًا في سبيل الله وكانت أمه حامل –في الثامن في التاسع– فلما أردت أن أخرج قالت لي أتتركني وما أنا فيه؟، قال لها وماذا أفعل، قالت له ابق بجواري فقال لها ولكني سأذهب وأستودعكم عند الله، ثم وضعت يدي على بطنها وقلت اللهم يا من لا تضيع عنده الودائع استودعتك ما في بطن زوجتي فوليت وسافرت، فلما عدت مما أنا فيه وسألت عنها فعلمت أنها قد ماتت هي ووليدها فذهبت إلى قبرها أزورها ثم عدت وفي الليل رأيت نورًا يخرج من قبرها فسألت أبناء عمومتي ما هذا؟ قالوا والله ما ندري ولكن هذا النور يخرج من قبر زوجتك في كل ليلة منذ أن ماتت، فأخذت أبناء عمومتي وذهبت إلى قبرها، فلما ذهبت إليه وفتحته وجدت وليدها بجوارها، فلما أخذته سمعت من يقول لي: "يا هذا خذ وديعتك التي استودعتها عند الله، أما لو كنت استودعت أمه لوجدتها بجواره".

هو ده يا جماعة العبد الرباني، فهمت يعني إيه رباني؟ الرباني المتعلق بالله مش متعلق بحد تاني خالص.

كرم الله لعباده الصالحين

سيدنا عمر بن عبد العزيز كان له عشرة من الأبناء، فلما حضرته الوفاة ترك لهم ٤ دراهم لكل واحد منهم، فلما قيل له فيهم أتترك لهم ٤ دراهم فقط! قال لهم: "إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ" الأعراف:١٩٦، لما دخل عبد الرحمن بن مهدي على أبو جعفر المنصور خليفة المسلمين قال له أبو جعفر المنصور: عظني، فقال أعظك بما قرأت أم بما رأيت؟ قال بما رأيت فان القراءة كثير، قال والله رأيت عمر بن عبد العزيز يترك عشرة من أبناء يترك لهم أربعة دراهم فلما قيل له في ذلك قال: "إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ" ورأيت سليمان بن عبد الملك ترك عشرة أبناء ترك لهم ألف ألف دينار يعني مليون دينار، والله رأيت ولد لعمر بن عبد العزيز يتصدق في يوم واحد بألف فرس يجاهد في سبيل الله، ورأيت ولد لسليمان بن عبد الملك في نفس الملك في أحد المساجد في نفس اليوم يسأل الناس ويقول لله لله، فهمت يعني إيه "إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ"؟ الصالحين بس مش حد تاني، الصالحين ربنا بيغير لهم الجغرافيا والتاريخ بتوع الكون كله، ده مش الإنس بس ده الإنس والجمادات والحيوانات والجن كمان.

الله لا يخزل أولياءه أبدًا

الإمام أحمد كان جالس في مجلس تحديثه فجاءه رجل يفزع، قال: يا إمام تعال معي فإن ابني يُصرع، قال له يا سيدي إني في مجلسي ولا أستطيع مغادرته، فقال له تعال معي اقرأ عليه القرآن فإن ابني يُصرع ولا أطيق رؤيته هكذا، فقال له اذهب إليهم واقرأ عليهم القرآن وقل لهم إن أحمد يأمركم بالخروج، فأخذ الرجل الكلام وذهب إلى ابنه فوجده يُصرع، فجلس بجواره فقرأ عليه القرآن فنطق من عليه، فقال لهم إن أحمد يأمركم بالخروج، فقالوا له سمعنا وأطعنا، ولو أمرنا أحمد أن نخرج من العراق لخرجنا، إنما أحمد رجل أطاع الله، هذه هي الربانية. الله عز وجل قال عن الشيطان: "وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً" الفرقان:٢٩

كل مرة تتوكل عليه يخذلك، وكل مرة هو يتولاك بيضيعك، ربنا قال:

"وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ" الحج٣:٤

الله عز وجل لا يضل ولا ينسى، لا يخذل أولياءه أبدًا في أحلك المواقف.

الله يثبت عباده الربانيين بالقول الثابت في الدنيا والآخرة

أبو زُرعة الرازي من أئمة المحدثين الكبار أوي وكان مهيبًا، فلما حضرته الوفاة كان يحضره اثنان من تلامذته الأكابر –محمد بن مسلمة وأبو حاتم الرازي– قالوا نلقنه الشهادة ولكن لمكانته ومهابته لم يستطيعوا فعل هذا، فقال لهم أسردوا سند حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وهو سيُكمل، وكان يُغشى عليه، فابتدأ محمد بن مسلمة وقال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر حدثنا صالح حدثنا عاصم ثم تلجلج وسكت لهيبة الموقف ومكانة أبو زرعة، فأخذها منه أبو حاتم فقال: حدثنا بن دار حدثنا عبد الحميد بن جعفر حدثنا صالح ثم تلجلج وسكت، والاثنان أخطئوا في السند، فأفاق أبو زُرعة من غشيته وقال لهم أقعدوني، فلما اعتدل قال: حدثنا بن زرع حدثنا عاصم حدثنا عبد الحميد بن جعفر حدثنا صالح حدثنا كُثير بن مرة الحضرمي حدثنا معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ومات! هي دي الربانية، هي دي "إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ". كلمة مشهورة أوي من كان معه الله فمن يكون عليه؟، العبد الرباني ده مش بيبقى شايف حد جنبه، مش بيبقى شايف الكون أصلًا هو متعلق بالله.

كن واثقًا بالله حتى في أشد اللحظات

سيدنا موسى دخل أمام فرعون فقال له: "إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ" طه:٤٧، عارف يعني إيه والسلام على من اتبع الهدى؟ ده أسلوب قصر وحصر، سيدنا موسى بيقول له: السلام بس على من اتبع الهدى، يعني لو جيت معايا أنا مش هعمل فيك حاجة، إنما لو مش جيت معايا يا ويلك، " إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ" طه:٤٨، سيدي قال لي أن العذاب على من كذب وتولى، دي اسمها التعلق بالله، هي دي الربانية، الربانية دي اللي خلت عبد الملك بن مروان أراد أن يجدد قبة الصخرة، وكانت قبة الصخرة متاخمة لكنيسة القيامة، وكانت كنيسة القيامة كانت تعدت على بعض أمتار من المسجد الأقصى، وكان عبد الملك بن مروان خليفة المسلمين فأرسل إليهم أن أشتري تلك الأمتار بعشرة أمثالها، قالوا له لا وأغلظوا في الحديث، قال لهم فوالله لآخذنها عُنوة..

فذهب بجنوده فقالوا له يا خليفة رسول الله إنا قد وجدنا في كتبنا أن من يكسر هذه يُجن في عقله ولا يستتب قائمًا، فرفع بصره إلى السماء فقال: اللهم إني أسألك أن أُجن في سبيلك ورفع فأسه وكسره، دي اسمها إيه يا جماعة؟ دي اسمها الربانية. الربانية إنك تبقى واضح زي ما ربنا قال:"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" الروم:٣٠، ركز كل واحد لما بيتحط في موقف شديد عليه بيخرج معدنه الصحيح، ساعة ما يتحط في موقف شوف يقينه بالله في اللحظة دي هتكون عاملة ازاي، عشان كدة ربنا قال: "وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا" البقرة:١٤٨، وفي قراءة هُوَ مُوَلاهَا.

الله يُغنيك عن العالمين

صفوان بن محرز –ابن الجوزي يحكي عنه هذا الخبر في صفة الصفوة– أن الحجاج قد أخذ ابن أخيه، فلما أخذه ظل صفوان يدور على أعيان وكبار أهل المدينة كي يشفعوا له عند الحجاج ليترك ابن أخيه فلم يجد، فذهب إلى مسجد قريته، فصلى ركعتين في وقت القيلولة ثم ذهب ليقيل –نام–، فأتاه آتٍ في نومه قال له: "يا صفوان لا تدور كثيرًا، قم واطلب حاجتك من وجيهها"، فقام صفوان وظل طيلة الليل يصلي ويدعوا بدعاء واحد "يا كريم، يا كريم، يا كريم، اللهم اغنني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عن من سواك"..

فأفاق الحجاج من نومه ونادى الحراس أن آتوني ابن أخو صفوان بن محرز، قالوا الصباح؟ قال: لا فإني لا أطيق النوم، فقال له الحجاج يا بُني اذهب إلى عمك فقل له أننا أخرجناك بلا كفيل ولا وكيل، ولكن أخرجناك لله، هو ده مفهوم الربانية، إن إنت بس تبقى متعلق بالله، رجل صالح.

من تعلق بغير الله ابتلاه الله فيما تعلق به

ولا يثبت في الفتن ولا البلايا إلا الصالحين. قال الله عز وجل: "إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ" التحريم: ٤

فيه ناس بتتعلق بحاجات كتير أوي، وربنا–عز وجل– بيعجل عذابه فيما تعلق به، قال الله عز وجل: "وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ" الذاريات٣٨: ٣٩، يعني إيه فتولى بركنه؟ الركن ده الوتد، الركن هو جنود فرعون، هامان وجنوده وجنود هامان، القوة والجنود الكتير دول هما اللي خلوه يقول: أليس لي ملك مصر، وما علمت لكم من إله غيري، أنا ربكم الأعلى، فربنا قال: " فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ" الذاريات ٤٠

أهل اللغة بيقولوا النبذ هو الرمي مع الاحتقار، قال الله عز وجل: "وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ" البقرة: ١٠١، عارف إنت لما يكون عندك أعزك الله حيوان ميت، فأر مثلًا فبترميه وإنت متأفف، هو كده الجنود اللي إنت متوكل عليهم دول إنت وهما مرميين في اليم.

عشان كده ابن القيم بيقول لما ذكر مفسدات القلب الخمسة ذكر منها تعلق القلب بغير الله قال كلام جميل أوي، بيقول:"وليس على القلب أضر من تعلق القلب بغير الله عز وجل، ولا أقطع عن مصالحه وسعادته، فإذا تعلق القلب بغير الله وكله الله عما تعلق به، فخذله أحوج ما يكون إليه، فلا على نصيبه من الله حصل ولا إلى ما أمنه مما تعلق به وصل" عشان كده البعيد عن ربنا بيبقى عارف إنه بعيد حقير ومُستصغر.

قال الله عز وجل: "سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ" الأنعام: ١٢٤، الحسن البصري لما رأى بعض المسلمين بيفتتنوا بمراكب السلطان قال: "والله لو هرطقت بهم البغال، وهملجت بهم البرازين أبى الله إلا أن يذل من عصاه". عشان كده قالوا في قول الله عز وجل: "وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً" مريم: ٨١

ربنا قال: "كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً" مريم:٨٢.

حتى في لحظات انشغالك.. قلبك معلق بالله

إخواني إجمالًا الربانية معنى جميل، ولو قعدنا عشر حلقات مش هنخلص، لكن فيه قول أعتقد أنه يُلخص الربانية، القول ده لما جاء أحد طلبة الإمام الشافعي، فقال له: يا إمام ما أعظم ما يُتقرب به إلى الله؟ الإمام الشافعي بكى، وقال يا بني أومثلي يُسأل عن هذا! فبكى بكاء شديد ثم قال: يا بني أعظم ما يُتقرب به إلى الله أن يطلع عليك من فوق سبع سموات فيراك لا يريد من الدنيا ولا من الآخرة إلا هو، هي دي الربانية حتى لو قاعد وسط الناس وبتشتغل وبتجري ممكن كل ده وإنت قلبك متعلق بالله.

لما سألوا رابعة العدوية كيف يكون قلبك مع الله وأنتِ في وسط ضيفك ومريديكِ؟ أجابت ببيتين من الشعر يُكتبوا فعلًا بماء الذهب، قالت:

رباه ولقد جعلتك في فؤادي محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للمجـالس مؤانـسٌ وحبيـب قلبي في الفؤاد أنيسي

قال الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ" الحج:٧٣

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم عبادًا ربانيين، اللهم لا تجعل أُنسنا إلا بك، ولا حاجتنا إلا إليك، ولا توكلنا إلا عليك، اللهم اغننا بحلالك عن حرامك واكفنا اللهم بفضلك عن من سواك، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36